دمية القصر

هذا سُروري بأبي عامر ... مُغرّ ِقي في لُجّه ِ الغام ِر ِ .
فتىً إذا جاراهُ في مَفْخَر ٍ ... مُساجلٌ خاطَرَ بالخاط ِر ِ .
النثرُ جسمٌ وهْوَ روحٌ له ... والنّ َظمُ عينٌ وهو كالناظر .
فممّا أنشدني لنفسه من شعره الذي يغدو ويروح ممتزجاً بالروح قوله في الغزل : .
نفسي الفداء لشادن ٍ ... بَلْواه عِنْدي تُستحبّ ْ .
فإذا بَلوتُ خِلالَهُ ... فالماءُ يُشربُ وهْوَ عَذْبْ .
وإذا نَضوتُ ثيابه ... فاللوز يُقْشَرُ وهْو رَطْبُ .
وقُصارُ وَصْفيَ أنهُ ... فيما أحِبّ ُ كما أُحِبّ ُ .
قلت : هذا وا وصفٌ تتطلّع إليه الأحداق وتتحلّب عليه الأشداق وله أيضاً : .
صَبحتُ مَعهدَ أُنسي ... أرومُ تَرويحَ نَفْسي .
فحينَ وافيتُ قالوا : ... قد فارقَ الشيخُ أمس ِ .
فأظلمَ اليومُ عِندي ... وكدتُ في الحال أُمْسي .
فيا مَسَرّ َةَ قلبي ... ويا هِلالي وشَمسي .
أتستجيزُ فِراقي ... من دون تَزويد أُنس ِ .
وأنتَ أنتَ ووُدّ ِي ... ما قدْ علمتَ وبَسّي .
الشيخ الرئيس .
أبو المحاسن سعد بن محمد بن منصور .
الإمام المختلف إليه والهُمامُ المُتّ َفق عليه . لم تُخرج فتىً مثله الفَتَيان ولم ترَ العيون نظيرَه في الأعيان . واتّفق أنّي خيّمتُ في معسكر السلطان الشهيد طُغْرِلْ بك Bه بظاهر جرجان . وكنتُ يومئذ مُرشّ َحاً لديوان الرسالة وموشّ َحاً بجشمة الكتابة .
والوزير رئيس الرؤساء الصاحب أبو عبد ا الحسن بن علي بن ميكائيل يَجذبُ بضَبْعَي من بين نُظَراتي ويَخُصّني بالرعاية والعناية من بين أكفائي .
ولعلّ الرئيس أبا المحاسن رحمة ا عليه كان سمع بخَبَري أو وقف على أثري فحَضَرَ ديوانَ الوزارة ودلّتْه الفِراسة عليّ َ فقسم طرْفه بين طَرَفيّ وهو متردّ ِدُ الرأي بين الشكّ واليقين متشعّ ِبُ المذهب بين التحقيق والتخمين . فابتدأتُهُ بالسلام وقمتُ ماثلاً أمام ذلك الإمام وقلت : " أنا ذاكَ الذي ظننتَ وأنت في صدق الفِراسة أنت . فأقبلَ عليّ َ وقبّ َل بين عينَيْ " وقال : " مرحباً بقادم له عندنا محلّ الإخاء " فقلت : " قادمٌ

ولكنْ بالخاء " . فتعجّب من حُضور جوابي وأُعجبَ بي وبآدابي وأثنى عليّ في ديوان الوزارة بما طرّزَ به كمُّ جاهي وقَدْري شرح للرأي الصاحبي من أحوالي ما انشرح له قلبي وصَدري . وزُرته في مقرّ عزّه بجُرجان من الغد ورتَعْتُ عنده في ظلّ الرَّغَد . وتجاذبنا أهداب المذاكرة بياضَ نهارنا وشِطراً من سوادٍ ليلنا ؛ وجرى بيننا من الفوائد ما تخيّرتْه الغَواني لأوساط القلائد . ومدحته بعد ذلك بقصيدة دالية مطلعها : .

عجبتُ لطيفها أنّى تَصدّى ... وأومضَ بالتواصُل ثم صَدّا .

نصبتُ لصيده أشراكَ نَوْمي ... وصاحَ الانتباهُ به فَندّا .

هو الطاووسُ زِيّاً واخْتيالاً ... ولكنْ كالقَطا ليلاً تَهدّى .

فلمّا بلغتُ هذا البيت قال : " ما أحسن ما جمعتَ في المعنى بين هذين الطائرين ؛ قد طيّرتَهما على ألسنة الرُّواة سائرين " وتخلّصتُ إلى المدح فلمّا سمع قولي فيه : .

عَلا هِمَاً فليس يَهشُّ إلاّ ... إلى قُرصِ السماء إذا تغدّى .

هزَّ إليَّ مَلاثَ العِمامة وشهد لي في الصنعة بالإمامة . حتى انتهيتُ إلى قولي : .

مِنَ القوم الذينَ إذا استُمدّوا ... نَدىً فَضَحوا الخِضمَّ المُستمَدّا .

فَلا وَدُّوا ارأسِ العِزِّ شَجّاً ... ولا شَجّوا بدار الهُون وُدّا .

قال : هذا مقلوبٌ ترتاح إليه أسماعٌ وقلوبٌ . واتّفق أتي أنشدتُ هذه المِدحة في الجامع بجُرجان بعد الانتقال من المكتوبة وانقضاء المجلس المعقود للنظر ومن الحاضرين هناك الشيخُ أبو عامر أدام ا فضلَه وهو المعنيُّ بكلامي ؛ بمْشُط أصداغه ويخلُطُ أصباغه ويُعمّر بلسان التحسين نَواحيه ويخلّقُ بأنشام التَّزيين أقاحيه